# روح الكفاح والخشونة

## وقاية من الانحلال وحافز إلى الكمال

الحياة فى جميع أطوار نشوئها وارتقائها جهاد وصراع ؛ البقاء فيه للأصلح ، والغلبة للأصبر على الكفاح ، ولم تكن — ولن تكون — متاعا سهلا ، ولذة قريبة ؛ ولن يكون الترف فيها وقلة الصبر على المكاره دليل نهضة ، أو حافزا الى كمال .

تلك حقيقة تؤيدها الطبيعة ، ويؤيدها التاريخ القديم والحديث على السواء ؛ فالنبتة الخشنة مكتوب لها الحياة مهما اشتدت عليها عوادى الطبيعة وحرمتها الماء والغذاء ، وقد تنبت وتشتد وحولها الحجير والصحراء ؛ والأمم الفتية المخشوشنة التى درجت على الحرمان تتغلب دائما على الامم المترهلة المترفة التى ألفت اللذة والمتاع .

فالعرب فى التاريخ القديم لم يقهروا الفرس ، لأنهم أكثر مدنية وأعظم موردا أو أكثر جندا ، ولكنهم غلبوا لأنهم أمة فتية خشنة ، ولأن خصومهم شعب مترف ناعم ، وما كان الصوم الذى فرضه الإسلام إلا نوعا من المرانة على تقوية الإرادة وتعود الحرمان والصبر على الجوع والعطش ، تمهيدا للجهاد ، وتقدمة للأهوال ، وابتلاء بالحرمان الإرادى قبل الحرمان القهرى فى الميدان .

والالمان لم يغلبوا الفرنسيين فى التاريخ الحديث ، إلا لأن هؤلاء أسرفوا فى المتاع والرفاهية ، فعز عليهم الصبر فى المكاره ، ولانت مفاصلهم عند الصدمة الأولى ؛ وأولئك مرنوا على الحرمان والخشونة ودربوا على الصعاب والشدائد ، وقيل لهم : إن للحياة غاية غير الطعام والشراب ، وغير المتع المنوعة للعقول والنفوس .

وحسب الناس ممن يأخذون بالظواهر أن فى الألمان قوة قاهرة لا تغلب ، ولا يقف فى وجهها أحد ؛ وأن كل أمة — مهما عظمت — ستذوب تحت أقدامهم كما ذابت فرنسا ؛ حتى إذا اصطدموا بشعب آخر ذى طبيعة صلبة وأعصاب متينة لم يذب ولم يتخاذل ولكنه استقبل العاصفة على غير استعداد ، استقبال الواثق الصابر المكافح ؛ لأن أعصابه و إرادته قد مرنتا من قبل فى ساحات الألعاب الرياضية وفى صراع البيئة الطبيعية وعادات البيئة التقليدية على نوع من المقاومة وضرب من النزال .

وأيا كانت النهاية ، فان يكتب التاريخ أن انجلترا خارت عزيمتها لدى الصدمة الأولى كما خارت عزيمة فرنسا المريضة المنحلة ، ولن يغلب الانجليز فى ميدان الأخلاق ، وفى معانى الشرف والكرامة والبطولة ، فلو لم يكن لهم إلا بطولة لندن و بليموث وكفنترى لكفاهم ذلك شهادة أمام التاريخ .

قصدت من ذلك كله إلى القول بأن روح الكفاح والخشونة ضرورى لكل فرد يريد الحياة ، ولكل شعب يحب البقاء ، والحياة والبقاء لا يستحقان الذكر إن لم يكونا لا تقيين بالإنسان الحر الكريم .

ولعل هذه الروح لا تنقص أحدا كما تنقص المصريين فى هـذه الأيام ، وفى كثير من فترات التاريخ ، فالطبيعة والعراقة كلتاهما عملت على إضعاف هـذه الروح الضرورية للحياة فى الشعب المصرى : الطبيعة سهلة سمحة صحية كريمة ، لا تحوج إلى الجهد الشديد ولا الى الكدح المتواصل ، فالنيل يفى كل عام بلا جهـد إنسانى مقصود ، والتربة تنبت النبات فى وفرة وفى يسر كذلك ، والسماء صافية صحوك توحى بالهدوء والاطمئنان ولا ترسل عواصفها هوجاء ولا رعدها مزمجرا ولا برقها مخيفا ولا سيولها جارفة ، فلا ضرورة للحذر ولا الاستعداد .

هذا كله من ناحية ، والعراقة القديمة التى جعلت من الوادى مهد المدنية وموطن الثقافة ، من ناحية أخرى . فالخضوع لسلطان الدولة المتوطد عشرات القرون ، والأمن الذى تهيئه الدولة الموطدة ، كلاهما يضعف شرة النفوس ، ويوحى بالدعة والسكون . وتلك نعمة ونقمة فى آن .

ومن هنا عملت الطبيعة الوديعة الناعمة التى لا تثير فى النفس روح الكفاح أو الاستعداد وعملت التربية والبيئة الاجتماعية التى توحى بالاطمئنان والخضوع والاستسلام ، على هـذه الحالة التى نشاهد فيها الشعب المصرى الآن : دعة وحية ، وميل الى المتاع السهل ، ونفور من الجهد والكدح ، وهرب من تحمل التبعات ، وجزع لأتفه المكاره ، ونفور من التكاليف ، وحب للأمن بأفدح الأثمان ، حتى ليكاد ينطبق على الغالبية قول القرآن الكريم " وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ " !

ولكننا فى عصر لابد فيه من تعلم صناعة الموت لضمان الحياة ، ولابد فيـه من الحرمان الطويل لإدراك المتاع ، ولابد فيه من الكدح الشاق لنيل الراحة ، عصر لا يصبر على الوادعين المترفين ، ولا يطيق المترهلين الخاملين ، ولا يرحب إلا بالفلاظ الشداد !

فيلبغى ، لكى نعيش ، أن نستعيض عن نقص الطبيعة والعراقة بوسائل صناعية فى التربية ترد إلينا شيئا من الخشونة الواجبـة ، بل من التماسك الأولى فإننا نكاد نتلاشى من الميوعة ، ونتداعى من الرفاهية ، وتتهالك من النعومة ، بين الكادحين العاملين فى شظف الحرمان .

وإذا كان الألمـان قد احتاجوا الى فرض الحرمان على أنفسهم وإلى التكاليف الشاقة فى تربيتهم ، وهم سلالة قبائل خشنة كالتيتون والهون . فما أحرانا نحن أن نفرض أضعاف ما فرضوه لنقاوم رخاوة الطبيعة ، ودعة العراقة ، وآثار الاحتلال المطويل .

ووسائلنا الى التربية الجديدة الواجبة هى :

( أولا ) الألعاب الرياضية وألعاب الفروسية ، بصفة عامة ، والألعاب الخشنة منها بصفة خاصة ، فنحن أحوج ما نكون الى الروح الرياضية فى أخلاقنا وأجسامنا ، والى تعود الخشونة فى الألعاب الخشنة منها كالملاكمة والمصارعة والحركات الخطرة . نحن فى حاجة الى أن نتعود كيف نَغلب ونُغلب ثم نصمد بعد ذلك للعب من جديد ، وإلى أن نتأكد أن اللكمة أو الصرعة لا تقضى علينا القضاء الأخير ، وكلما خشنت الالعاب التى نمارسها كان التعويض فيها أكبر من نقص الطبيعة والمدنية العريقة .

نحن فى حاجة الى سواعد مفتولة وسيقان مشتدة ، تقاوم هذه النعومة التافهة التى درج عليها شبابنا الحديث ، وتحتقر اللطافة المصنوعة التى تكاد تتخاذل فى الوقفة والمشية والإشارة والحديث ، وتزدرى العطور والزينة وتصفيف الشعور التى تقذى بها العيون فى المجامع والطرقات .

نحن فى حاجة إلى الشباب الرياضى المترفع عن سمات الأنوثة ، المتعالى على مظاهر النعومة ، الصحيح الجسم والنفس ، المدرب على الصراع والنضال ، المتحفز للكدح والنزال ، الشاعر بأن الرجولة الواضحة هى أثمن ما يزين الرجال .

واللعب الرياضى لا يكفى مالم تتوافر له الروح الرياضية ، فالخلق "الاسبور" هو الذى ينقصنا فى تصرفاتنا اليومية ، ذلك أننا اكتفينا بالحركات الجسمية نؤديها ، ولم نعن بالملاءمة بينها و بين النفس الباطنة كما صنع الانجليز ، فلم نكسب من الرياضة إلا جانبها التافه الرخيص .

( ثانيا ) الإقلال من الترف ولو هيأته لنا وسائلنا المادية ، فالحرمان الاختيارى مرانة على الحرمان القهرى ، ونحن فى عصر مفاجآت وتقلبات رهينة الأيام والليالى ، بل رهينة الساعات واللحظات ، فينبغى أن نقاوم فى نفوسنا حب الاستمتاع ولذة الوجدان ، ونفرض عليها ضروبا من الخشونة أكثر مما تفرضه الظروف الراهنة ، تربية للمقاومة ودربة على الصبر . ولنا فى روح الدين أسوة حسنة ، فالصوم كما قلت تعويد على المشقة وإعداد للحرمان وتمكين للمقاومة وتربية للرجولة . ونحن لا نريد أن نفتح الممالك ولا أن نؤلف الامبراطوريات ، ولكننا نريد الحياة الكريمة والوقوف أمام التيار الجارف من الخشونة العارمة .

أعرف ناسا أهم كوارث الحرب الحاضرة فى نظرهم حرمانهم من المصايف فى صيف هذا العام ! لطف الله بهم . فماذا عساهم يصنعون لو كتب عليهم القتال فى هجير الصحراء ، ولو جىء بهم من الأصقاع الشمالية الباردة إلى جهنم الدنيا وراء الحدود المصرية ؟ كما يصنع الألمان والانجليز على السواء ؟ !

هؤلاء سبة للرجولة ، ووصمة فى جبين الوطن يحسن بها المحو والزوال !

( ثالثا ) تطهير الغناء والموسيقى والمسرح والسينما من هذه الروح المريضة الذليلة التى

تسودها جميعا . فإن المذياع وحده ينقل إلى أسماعنا فى البيوت والطرقات والمقاهى من التميع والتكسر والدغدغة والتخنث ما يكفى لتخدير أشد الأعصاب حماسة، وأكثرها صلابة .

هاتوا لى أقوى جيش فى العالم ، أرددّ على سمعه بضعة أيام فقط شيئا مما يذاع فى مصر من الأغنيات المريضة من أمثال : "ولما سلمت عليه وخدت إيدك فى اديه" أو "ميلت بختى فى الحب يختى" أو "راضى بلومه وكلامه ولو آنى مظلوم معاه" أو "يالوعتى يا شقايا يا ضنى حانى ..." إلى آخر هذا الغناء المفروض علينا بالليل والنهار ، وأنا كفيل أن يفت فى عضد هذا الجيش ، وأن تصنع به هذه الدغدغة ما لا تصنع وسائل الدعاية كلها من الوهن والفتور ، وأن يستريح ويحس واضعا يده تحت خده مستسلما لخيالات المخدرات ودموع الشجو والأسى !

هؤلاء المطربون والمطربات فى مصر يقتلون الشعب خفقا وذوقا ، وهم فى مأمن من القانون ، بينما هذا القانون يعاقب من يذيعون أخبارا من شأنها أن تحدث الذعر أو تثبط العزائم ، ولا شىء فى الدنيا يقتل الرجولة ويميت الهمم ويرخى العزيمة ، ويشيع الانحلال والميوعة ، كهذه الأغانى التى نرغم على سماعها بالليل وبالنهار .

إننى لأعجب كيف بقى فى مصر بعض ذوى الأعصاب المتينة ، وبعض ذوى الأذواق السليمة ، وكيف بقى شىء من مظاهر الرجولة وشىء من علائم الكرامة ، وهذه الأغانى تسرى فى دم الشعب كالسموم ، وتحقنه كالمخدرات .

ولو كان لى من الأمر شىء لعاقبت هؤلاء المطربين والمطربات ، بتهمة العمل على بث روح الضعف والوهن فى الجمهور ، أو لقدمتهم هدية بخنود الأعداء يغنون لهم ويطربونهم فيفتون فى أعضادهم ، ويسلبونهم الحماسة واليقظة ، ويتركونهم سكارى كمدمنى الحشيش والأفيون !

( رابعا ) دراسة سير الأبطال والعظماء فى التاريخ المصرى خاصة والتاريخ العالمى عامة فى مرحلتى التعليم الابتدائى والثانوى ، ودراسة كفاح الشعوب وأمثلة بطولتها ، فاستجابات الأطفال والمراهقين لهذه المثل استجابات قوية عميقة الأثر فى نفوسهم .

( خامسا ) وأخيرا يجب أن يكون التدريب العملى على الشجاعة من جانب وعلى الخشونة والكفاح من جانب آخر جزءا أساسيا من برامج التربية فى البيت والمدرسة ، فالتجربة العملية هى الكفيلة بغرس هذه الروح ، إذ التصرف ثمرة العادة أكثر من كل شىء آخر .

يجب إذن أن يمحى ذلك التدليل الذى نراه فى كثير من البيوت للأطفال ، فهذا التدليل ليس من مصلحتهم فى شىء ، والحرمان من بعض الرغائب رصيد يتجمع فى الإرادة والخلق ، فينفق منه الفرد فى مستقبل الحياة ، وتنفق منه الأمة فى مستقبل الأجيال ما

"س . . . "